

## ملخص:

لمنهجية البحث العلمي أهمية بالغة في مجال العلوم الإنسانية، وأمام التجدد الراهن لكل أناط المعرفة، وما حققته العلوم التقنيّة من تطور، تجد العلوم الإنسانية نفسها أمام رهان المبادرة بضرورة تجديد مناهجها لتحقيق التّميّز أمام رهانات التطور المعاصر ، وهذا ما نروم توضيحه من خلال مداخلتنا بتبيان معيقات البحث العلمي واقتراح بدائل منهجية تكون كفيلة لخدمة هذه العلوم.

كلمات مفتاحية: المنهجية؛ واقع التجسيد؛ مأمول التّجديد؛ البحث، العلوم الإنسانية.

## Abstract:

The methodology of scientific research is of great importance in the field of the human sciences, and in the face of the current renewal of all types of knowledge, and the development achieved by the technical sciences, the human sciences find themselves facing the initiative's bet of the necessity of renewing its curricula to achieve distinction in the face of the stakes of contemporary development, and this is what we intend to clarify through our intervention by showing obstacles Scientific research and suggesting methodological alternatives to serve these sciences.

Keywords: methodology; the personification; Renewal hope; Research, Humanities.

## منهجية البحث العلمي ؛ بين واقع التجسيد ومأمول التجديد

Scientific researche methodology  
Between the reality embodiment and  
the hope of renewal

عبد القادر نويوة

جامعة عباس لغرور خنشلة-

الجزائر-

nouioua.abdelkadert@yahoo.fr

أما المنهجية فإنَّ اشتقاقها اللغوي من مادة نَهَج، والتَّهَج الطريق الواضح، ولا يبتعد هذا المعنى اللغوي عن الوضع الدلالي للمنهج أو المنهجية في مجال البحث العلمي إذ يراد به ( العلم الذي يبحث في الطرق التي يستخدمها الباحثون لدراسة المشكلة والوصول إلى الحقيقة)<sup>4</sup>، وهو ما يُعرف أيضا بعلم المناهج، والذي يختص بالبحث الايستمولوجي للأطر المتحكّمة في طرق تحصيل المعرفة وتقديمها.

وبعد هذا التّحديد المختصر للدلالات اللغوية والاصطلاحية ( البحث / العلم / المنهج)، تتبدى لنا ضرورة تحديد مفهوم ( منهجية البحث العلمي)، أي حكم العلاقة اللازمة فيما بين هذه الاصطلاحات، فالبحث العلمي على العموم يتأسس على علاقة الذات الباحثة بالموضوع المبحوث عنه/ فيه، وهذا الفارق هو المميز للمعرفة العلمية عن مجموع المعارف الأخرى، فالمعرفة العلمية قوامها التّخصص والمنهج والعلم والتّدقيق، بخلاف المعرفة العامة التي قد يحصلها أي إنسان في حياته اليومية بعيدا عن تلك الخصوصية المنهجية التي هي من خصائص البحث العلمي الجاد والأصيل.

## 1.2 البحث العلمي وسؤال المنهجية:

ووفق هذا المعطى يبني الطرح الإشكالي المتجدد دوما حول سؤال المنهج والمنهجية إذ ( في كلّ عصر يحرز فيه العلم تقدما كبيرا في الميدان النظري والميادين التطبيقية، نجد مجموعة من العلماء الذين لا يكتفون بالإسهام في دفع عجلة الكشف العلمي إلى الأمام، وإتّما يقومون أيضا بعملية نقد ذاتي يتأملون فيها حدود العلم ويراجعون مناهجه ويحدّدون موقعه بين سائر أوجه النشاط الفكري والرّوحي والمادي للإنسان)<sup>5</sup>، فالتراكم المعرفي يبعث دائما على معاودة التّصنيف والغريبة ببحث الإجراءات المتاحة وتحديد الأدوات الخلاقة لأجل ضمان تفاعل معرفي مستجد وواضح ودقيق، يحقق مبتغى البحث العلمي في أبسط وأوضح الصور والظروف.

المنهجية إذًا هي بمثابة الميزان المرّجح للمعرفة كمّا وكيفا، الميزان الذي به تقاس القيمة المضافة وبفضله تجنى الثمرة، وما

إنّ قوام المعرفة الإنسانية يتأسس على مبدأ التّطور والتجديد، وإلقاء لمحة موجزة عن تاريخ تطور المعرفة الإنسانية لكفيل بتأكيد ذلك وإثباته، إذ إنّ ( الرّغبة في المعرفة دافع أصيل في الإنسان جعله يبحث عن وسائل تمكنه من إشباع هذا الدّافع وتحقيقه، وكان دائما يُعبر عن هذه الوسائل ويجدد فيها كلما شعر بأنّها ما زالت عاجزة عن تحقيق المعرفة التي يريدتها)<sup>1</sup>.

فطموح الإنسان إلى استيضاح ما انغلق من المعارف والإشكالات لا يحدّه حدّ، وهذا ما أسس لدوام انبعاث القدرة الكامنة للإنسان على الإبداع والتطور والتجديد. فنسبية المعطى المعرفي أولا ولا نهائيته ثانيا، هما سببا دفع الإنسان دوما للاستمرارية والتجديد، وعلى استثارة الفضول الفكري، وتحفيز نشوة البحث تأصيلا وتقييدا وإجراء.

## 2. البحث والعلم والمنهج:

عندما نقول منهجية البحث العلمي، فإنّنا نجد أنفسنا أمام ثلاثة مفاهيم إصطلاحية متداخلة يدعم أحدهما الآخر وهي: ( البحث / العلم / المنهج)، مما يحدّد ضرورة ضبط المفاهيم وتحديد الدلالات لكل منها، لاكتشاف وجه العلاقة فيما بينها.

فالبحث من حيث الوضع اللغوي، يحيل على معنى التنقيب على الشيء ابتغاء تحصيله، أما من حيث الوضع الاصطلاحي، فله تعريفات كثيرة تؤكّد في مجموعها على أنّ ( البحث العلمي هو نتاج إجراءات منظمة ومصممة بدقّة من أجل الحصول على أنواع المعرفة والتعامل معها بموضوعية وشمولية، وتطويرها بما يتناسب مع مضمون واتّجاه المستجدات البيئية الحالية والمستقبلية)<sup>2</sup>.

أما العلم فمحدّد اللغوي لا يخرج عن دلالة المعرفة، فعلم الشيء بمعنى تحقق عرفانه، أما دلالاته ومفهومه في الحقل المعرفي فهو (أصلا نشاط لمعرفة الواقع. إنّ هدفه الأول هو معرفة هذا الواقع، ومن أجل ذلك يتعمق العلم أكثر فأكثر في المواضيع ويتجاوز سطحياتها ومظاهرها الخارجية)<sup>3</sup>.

بضرورة إعادة النظر في كثير من المعطيات التي تخص البحث العلمي في العلوم الإنسانية عموماً، إذ إنّ التأكد أصبح بادياً بأنّ ( حاجتنا تزداد مرحلياً لقراءة المشروع المنهجي في العلوم الإنسانية والعربية، لا سيما حين سلّطت الأضواء في المرحلة الحالية على تطوير المناهج في العلوم الطبية والهندسية والأساسية بكل فروعها)<sup>10</sup>.

ومن أهم التوجهات التي ينبغي مراجعتها وتقييمها بخصوص البحث العلمي، فإنّ منها ما هو ذاتي يخص شخص الباحث، ومنها ما هو موضوعي يخص البحث وموضوعه في حدّ ذاته.

فمن الضرورات الدّاتية التي تخص الباحث وتوجهاته أثناء معالجة البحث العلمي والاشتغال عليه هي حقيقة تتعلّق بمفهوم القيمة، والمراد بها تحقيقاً وجوب التزام أخلاقيات البحث والاتصاف بها والتي عليها تنبني أهمية سر وفهم وتعرف ماهية البحث العلمي. مع تجنب الباحث لفكرة التسرع في الحكم، فالرّوية والصبر من الضوابط التي ترتسي عليها عملية البحث، أما سرعة الدّهشة والانبهار قد تعود بالسلب على المطامح المعرفية التي من أجلها يقوم البحث. وبالموازاة مع ذلك فإنّ الاستعلاء أو النرجسية في الطرح المنهجي لهي من الأسباب التي تقف حجر عثرة في سبيل البحث الجاد.

كما أنّ من المعطيات التي يجب مراعاتها في البحث العلمي، والتي تخص البحث في ذاته، فإنّها تتجلى أساساً في قضية التّحيين المستمر ( إذ لا بدّ من إعادة النظر في المنهج كلّما دعت الضرورة إلى ذلك، ولا بدّ من الاتساق مع الذات في إطار تحقيق التفاعل الجاد مع المتغير بدلا من حالة الجمود أو الركون إلى اجتراراً لمادة الجاهزة من لدن اجتهادات الآخر فحسب، ومن المؤكّد أنّ علومنا الإنسانية تتوقع كثيراً من فرسانها من هذا المنظور، ومن امتلاك تلك الأدوات التي توصل لها مناهج البحث بدرجة أولى)<sup>11</sup>.

وإنّ أهم قضية تخص البحث في العلوم الإنسانية هي قضية الربط المنهجي والضبط الاصطلاحي، فأهمية المصطلح في البحث العلمي لا تنكر، بوصفه أداة ووسيلة لتحقيق الفهم

كان منه ( الميزان/ المنهجية) صالحاً في عصر من العصور، فإنّه يغدو غير صالح في عصور أخرى، لذلك يجب تغيير مقاييس المعرفة ( المناهج والمنهجية) بتغيّرها وتطويرها عبر العصور، فتجديد المنهج كوسيلة لتقييم المعرفة هي من الضرورات اللازمة لتجدد الطرح المعرفي وفق تغيرات الزمان والمكان لأنّ ( مشكل المعرفة هو ما يقابل في التّاريخ الفلسفي مشكل الوجود ومشكل القيم. والمعروف أنّ ذلك المشكل يبحث في وسائل المعرفة وتحديد الموضوعات التي تنطبق عليها تلك الوسائل لتقويم صلاحية المعرفة وتأسيسها)<sup>6</sup>

إنّ العلاقة بين البحث العلمي والمنهجية - التي عليها قوامه - هي من أهم القضايا التي تستلزم إثارة النقاش، لما لها من أثر في بناء نظام القيم المعرفية، وتأكيد طموح توجهات الفكر الإنساني في بناء مشاريعه وتحقيق احتياجاته، وأنّ أي خلل يشوب التّكافؤ في ما بينهما يفضي إلى مشاكل ايسْتيمولوجية تعيق الأداء الريادي في رسم أدوارها وتأدية وظائفها ( لأنّ قيمة العلوم الجادة تقاس بمدى فاعلية مناهجها)<sup>7</sup>، وبفعل التّطور المشهود على مستوى الوسائل التقنية المتاحة في الاتصال والإعلام والبحث، فإنّه لا يعني انفلات التّصور المنهجي بل يدعم ضرورة المواكبة، وتحديد الرّؤية في واقع مستجد بتقنياته ومفروض ( في وقت صارت فيه الإعلامية تكتسح جميع المجالات. والمنهجية ليست بمنأى عن هذه التّطورات الحديثة)<sup>8</sup>.

من محدّدات العلم و التي يتّصف بها الصّرامة ( الموضوعية)، وهذه الصرامة يراد بها شكل التنظيم المعرفي المقدم والذي يعنى السير وفق تنظيم منهجي محدد ومضبوط ( وهذا المنهج محدد هنا بمجموعة من الإجراءات والطرق الدّقيقة المتبناة من أجل الوصول إلى نتيجة. إنّ المنهج في العلم مسألة جوهرية، كما أنّ الإجراءات المستخدمة أثناء إعداد البحث وتنفيذه هي التي تحدّد النتائج)<sup>9</sup>.

## 2.2 البحث العلمي وضرورة تجديد المنهج:

إنّ التّجديد في المناهج مطلب ضروري، إذ بفعل تجددّه، وتحسين استثمار آلياته تتحدّد قيمة المعارف ولا يتأتى ذلك إلاّ

الأداء الوظيفي السليم لمشاريع البحث العلمي في العلوم الإنسانية.

هذا بالإضافة إلى إشكالية الترجمة التي تظل إشكالية قائمة في تقويم المعرفة، ونقلها من سياق لغوي إلى سياق آخر مختلف، مما جعلها تشكل فوضى اصطلاحية تقف عائقاً أمام البحث العلمي، وأمام كل هذا و (فوق كل اعتبارات يظل المدخل الحقيقي لتحديث منهج البحث الجاد .. معلقاً بدرجة الانفتاح العقلي والقدرة على فهم كتابات الآخر والاستعداد للمناقشة والحوار دون تشنجات أو تعصب، والانطلاق إلى التفرقة بين ما هو علمي وما هو غير ذلك، إلى بقية الاعتبارات التي يجب أن توضع في حسابان الباحث المعاصر، حتى يستطيع أن يضيف إلى ما أبدعه جيل الرواد من اجتهادات ونتائج بات مطلوباً أن تفتح مزيداً من أبواب الحوار والمناقشة والإضافة والابتكار)<sup>15</sup>.

إنّ البحث العلمي في العلوم الإنسانية اليوم أمام رهانات صعبة، لتحقيق طفرة في جودة الطرح العلمي الحديث، أمام متغيرات علمية وتقنية كبيرة، وهذا ما يُجتمّ لزاماً خوض غمار هذه الرّهانات والتّحديات الصّعبة التي تقف أمام طموحات البحث العلمي، لكنّها ضرورية لتحقيق قفزة نوعية في الموضوع والنتائج والغايات.

#### الهوامش:

<sup>1</sup> محمد زيان عمر. البحث العلمي، مناهجه وتقنياته. ديوان المطبوعات، الجزائر، د-ت، ص32.

<sup>2</sup> ويدري رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية المجلد 1، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000، ص69.

<sup>3</sup> أنجوس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص56.

<sup>4</sup> بدري رجاء وحيد. البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، ص124.

<sup>5</sup> زكرياء فؤاد. آفاق الفلسفة، دار مصر للطباعة، مصر، د-ت، ص241

<sup>6</sup> بنعيد العالي عبد السلام، و يفوت سالم، درس الاستيمولوجيا (الإصدار 3)، توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص10.

وتقرير مسافات التّواصل بين أهل الاختصاص الواحد. فالمصطلحات لغة مشتركة لتقريب التّفاهم والتّواصل والتّفكير، ولا يتأتى ذلك إلاّ بدقة استعمالها وتوظيفها، وبتعطيل وظيفته تستحيل المعرفة الواضحة الدّقيقة ( إنّ الهدف الأساسي من توفير المصطلحات العلمية العربية الموحدة هو إيجاد لغة علمية عربية مشتركة يفهمها جميع العلميين والتقنيين في مختلف الأقطار العربية وتكون أداة فاعلة للتعليم والبحث والتأليف والترجمة في مجال العلوم والتّقنيات الحديثة وشبكات المعلومات العربية والدولية والدوريات العلميّة، ووسائل الإعلام والاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة، بحث يتيسرّ التبادل العلمي بين الجامعات العربية وتبادل الأساتذة والباحثين)<sup>12</sup>.

إنّ عملية الاصطلاح أو الوضع الاصطلاحي ليست عملية اعتبارية في ممارسة البحث العلمي، بل هي صياغة لغوية تراعي الدّقة والتّثبت، وهي في ذات الوقت عملية علمية في تجديد ألفاظ اللغة وفق محددات الوضع في التّخصص المطلوب، إذ ( لا يستوي الاجتماع الإنساني إلاّ باللغة ولا يستقيم بقاء اللغة إلاّ بتجدد ألفاظها)<sup>13</sup>، فإذا كان هذا هو حال اللغة عموماً، فإنّه ينطبق منطقياً على عملية اجترار المصطلحات بوصفها لا تخرج عن دائرة الاستعمال اللغوي في البحث العلمي للعلوم الإنسانية.

فطبيعة اللّغة هي سيرورة التّجدد الدائم، لذلك تتقاطع فيها الألفاظ وتشابه الدلالات والمفاهيم، وما يميز الوضع الاصطلاحي في البحث العلمي هو كونه وضعاً ذاتياً ( بمعنى هو رؤية ذاتية لا تخالف حقيقة المصطلح من حيث كونه مفهوماً ما، وإنما تلبسه برؤية خاصة هي نفسها منطلقة من عمومية المصطلح في الفهم، لكنها تشبّهه بمحتويات معرفية، تحاول ضبط حقيقته، ما تسعى الذات المدركة إلى إثباته)<sup>14</sup>.

وعليه فاعتباطية المصطلح تنتفي بانتفاء وضعه أصلاً، واضطرابه ينطلي بالضرورة على اضطراب المنهج في البحث، فقوام البحث العلمي هو المنهج والمصطلح، إنهما علاقة تلازمية يؤثر اضطراب أحدهما على الآخر. فوضع المصطلح يضطلع برفع الاعتباطية والعشوائية، وضبط الدلالة وتثبيتها، وهذا لأجل

8/ عبد الله التّطاوي. منهجية البحث الأدبي ومداخل التفكير العلمي، الدار المصرية اللّبنانية، مصر، د-ت، ص52.  
 9/ عبد السلام المسدي. المصطلح التّقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، د-ط، تونس.  
 10/ القاسمي علي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (الإصدار 2)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2019.

7 بوحوش رابع. المناهج التّقديّة وخصائص الخطاب اللساني (المجلد 1)، دار العلوم للنشر والتوزيع الجزائر، (د-ت)، ص08.  
 8 محمد زيان عمر. البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، ص08.  
 9 أنجوس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ص36.  
 10 عبد الله التّطاوي. منهجية البحث الأدبي، د-ت، ص52.  
 المرجع نفسه، ص52.  
 12 القاسمي علي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية (الإصدار 2)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2019، ص278.  
 13 عبد السلام المسدي. المصطلح التّقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، د-ط، تونس، 1994، ص07.  
 14 بلخير عقاب. نسقية المصطلح وبدائله المعرفية، دار الوطن للطباعة والنشر، الجزائر، د-ت، ص81.  
 15 عبد الله التّطاوي. منهجية البحث الأدبي، ص55.

#### قائمة المراجع:

1/ أنجوس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.  
 2/ بلخير عقاب. نسقية المصطلح وبدائله المعرفية، دار الوطن للطباعة والنشر، الجزائر، د-ت.  
 3/ بنعبد العالي عبد السلام، و يفوت سالم، درس الابستيمولوجيا (الإصدار 3)، تويقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2001.  
 4/ بوحوش رابع. المناهج التّقديّة وخصائص الخطاب اللساني (المجلد 1)، دار العلوم للنشر والتوزيع الجزائر، (د-ت).  
 5/ بدري رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية المجلد 1، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000.  
 6/ زكرياء فؤاد، آفاق الفلسفة، دار مصر للطباعة، مصر.  
 7/ محمد زيان عمر. البحث العلمي، مناهجه وتقنياته. ديوان المطبوعات، الجزائر، د-ت.